Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويخيل إلى الإنسان كأنما تحول ابن هانئ الصغير إلى آلة من آلات التصوير، فهمُّه دائماً أن يرسم صورة، وهو يستطيع أن يستخرج من مخيلته مئات الصور، فهي تسعفه بكل ما يريد من ذلك في كل موضوع من موضوعات شعره، حتى الغزل ملأه بالرسوم الحسية من مثل قوله:

سَفَرتْ عن بدر تمٍّ فلما نَقَبتْ كان النِّقابُ المحاقا
وكأنَّ الحسْنَ آلاتُ خَرْطٍ أبرَزتْ في الصَّدر منها حِقاقا

وقد نشعر نحن الآن بشيء من التحجر والجمود في هذه الطريقة، طريقة جمع الصور في الشعر، حتى لتتحول القصائد إلى ما يشبه صناديق تتبلور فيها الصور وتُكدّس بعضها فوق بعض. ولكن ذلك كان يعد بدعاً عند القوم، وكان يقيس به النقاد مقدرة الشعراء وبراعتهم، فلا عَجبَ أن يتحول ابن هانئ الصغير، كما تحول جده، وكما تحول ابن خفاجة معاصره، وكما تحول كثيرٌ من شعراء العصور الوسطى في الأندلس وغير الأندلس، إلى هذه الدوائر الفنية المحدودة، وكان من الممكن أن يطلقوا أنفسهم من عقالها، وأن يجددوا في موضوعات شعرهم ضروباً مختلفة من التجديد، ولكن النقاد لم يفسحوا لهم الطريق، بل ظلوا يطلبون منهم أبياتاً من التشبيه والاستعارة، وظلوا يقيسون بهذه الأبيات وما يماثلها بلاغة الشاعر وتفوقه في صناعته. وهذا العماد الأصفهاني أستاذ العصر يقدم لابن هانئ الصغير، وقد راعته تشبيهاته واستعاراته وازدحام ديوانه بها، فيقول: "طالعت ديوانه بمصر، فنقلت منه ما انتقدته، وعقلت ما عقدته، ونسخت ما نسخ السحر، ونسج الزهر، والحلت العقود الصحيحة لنسيم شمال أسحاره، وتمثلت العقول الصاحية لتسنيم شمول عقاره".

المصادر

– انظر ترجمته في خريدة القصر وجريدة العصر – قسم مصر – طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر. وانظر أخبارًا له في بدائع البدائه – طبع بولاق – لابن ظافر ص ٢٢٤.